أهمية أسلوب المدح في الدعوة
إلى الله وضوابطه

إعداد : د . حمود بن جابر بن مبارك الحارثي
عضو هيئة التدريس بكلية الدعوة و أصول الدين
بجامعة أم القرى

المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده ، ونستعينه، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، و من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه و على آله وصحبه وسلم . و بعد :

إن مما هو مشهور و معروف بين الناس التمادح الذي يتبادله الناس فيما بينهم سواءً كان شعراً أو نثراً ، و خاصة ما يُمدح به أهل المكانة و الوجاهة من عبارات و ألفاظ تتجاوز حد الوسطية إلى الغلو ، حتى أصبحت بعض ألفاظ المدح يمجها عامة الناس فضلاً عن طلاب العلم و العلماء ومثقفي الناس . إن هذه الظاهرة أحدثت عندي تساؤلات منها ما حكم هذه الظاهرة ، و ما ضوابطها ، و هل يمكن أن يكون المدح من أساليب الدعوة ، و ما مدى إمكانية الإفادة منه في الدعوة إلى الله تعالى ، و غير ذلك من التساؤلات . وشعوراً بالواجب الذي أوجبه الله على الباحثين وطلاب العلم من نشر العلم الصحيح بين الأمة ، و إثراء المكتبة العلمية الدعوية بما هو نافع و مفيد من المؤلفات و البحوث التأصيلية عقدت العزم على بحث هذه الظاهرة من منظور شرعي دعوي ، من خلال دراسة سنة النبي ﷺ وسيرته واستنباط المنهج النبوي في مدح النبي ﷺ لأصحابه و للمدعوين بوجه عام ، ومدح الصحابة والناس عامة للرسول ﷺ ، لعلني أفيد منه الدعاة إلى الله بعلم مؤصل من الكتاب و السنة ، فرأيت أن يكون بعنوان (**أهمية أسلوب المدح في الدعوة إلى الله وضوابطه)** . وجاءت خطته على النحو الآتي :

المبحث الأول : تعريفات عنوان البحث

أولاً : تعريف الأسلوب .
ثانياً : تعريف المدح .
ثالثاً : تعريف الضابط .
المبحث الثاني : أنواعُ المدحِ و ضوابطه .
أولاً : أنواع المدح .
ثانياً : ضوابط المدح .
المبحث الثالث : نماذج من مدح النبي للمدعوين ونتيجته الدعوية .
الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث .
أهم المراجع .

أسأل الله أن ينفعني بما سطره قلمي ، و يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، و يغفر لي ما كان فيه من خطأ أو تقصير ، و صلى الله و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم .

المبحث الأول : تعريفات عنوان البحث

أولاً : **تعريفُ الأسلوبِ**

ـ **الأسلوب في اللغة** :

الأُسْـلُوبُ : الطريق ، وعُنق الأسد ، والشـــموخ في الأنف .[1]

الأُسْـلُوبُ : كل طريق ممتد فهو أسلوب .

الأُسْلُوبُ : الطريق ، الوجه ، المـذهب . والجمع أسـاليب .[2]

الأُسْـلُوبُ : الفن . يقال أخذ فلانٌ في أساليب من القـول : أي في أفانين منه .

وقد ســلك أســلوبه : طريقته . وكلامه على أســاليبَ حسنةٍ [3] .

وبعد هـذه اللمحة اللغوية الســريعة نجد أن من معـاني الأسلوب اللغوية : ـ

الطريق ، والطريقة ، الوجه ، المذهب ، الفن .

ـ **الأسلوب في الاصطلاح** :

عُرِّف بعدة تعريفاتٍ : ـ

1 ـ الأُسْلُوب : هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه ، واختيارِ مفرداتهِ [4] .

---

[1] (?) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ص 125 .

[2] (?) انظر : تهذيب اللغة ، الأزهري 12/435 . و لسان العرب ، ابن منظور ، 1/473 . و تاج العروس ، الزبيدي ، 3/71 .

[3] (?) لسان العرب ، ابن منظور ، 1/473 . و تاج العروس ، الزبيدي ، 3/71 .

[4] (?) خصائص القرآن ، د . فهد الرومي ، ص 18 ، بدون ذكر

2 ـ الأُسْلُوب : هو طريقة الإنشاء ، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها ، للتعبير بها عن المعاني ، قصدَ الإيضاح والتأثير [1] .

3 ـ أسلوبُ الدعوةِ : هو طريقة الداعي في دعوته ، أو كيفية تطبيق مناهج الدعوة [2] .

4 ـ أسلوبُ الدعوةِ : هو فن الدعوة . وأساليب الدعوة : فنونها ، وهي : الحكمة ، الموعظة ، القوة ... الخ [3] .

5 ـ أسلوبُ الدعوةِ : هو الطريقة أو المذهب الذي يلجأ إليه الداعي إلى الله ، ليحقق بذلك أهداف الدعوة [4] .

6 ـ أساليبُ الدعوةِ : هي العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ ، وإزالة العوائق عنه [5]

تعريف أسلوب الدعوة : من مجموع التعاريف اللغوية والاصطلاحية السابقة يمكننا القول **بأن أسلوب الدعوة** : هو الطريقة المقنعة المؤثرة في المدعو بما يتناسب مع حاله .

وقلت : بما يتناسب مع حاله ؛ لأن طبائع الناس

الناشر ، ط4 ، 1409 هـ .

1 (?) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشائب ، ص 44 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط7 ، 1396 هـ .

2 (?) المدخل إلى علم الدعوة ، البيانوني ، ص 47 .

3 (?) مناهج الدعوة وأساليبها ، د / علي جريشة ، ص 16 .

4 (?) فقه الدعوة إلى الله ، د / علي عبدالحليم محمود ، 1/215 .

5 (?) الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد القحطاني ، ص 125 .

ومنـازلهَم مختلفـةٌ . فمنهم مَنْ يُـدعى بـاللين ، ومنهم مَنْ يُــدعى بالموعظة ، ومنهم مَنْ يُــدعى بــالقوةِ ، ومنهم مَنْ يُدعى بالهديةِ والتأليفِ ... الخ .

ـ **الفرقُ بين الوسيلةِ الدعوية والأسلوبِ الدعوي** :
وحتى نُفرق بين الوسيلة و الأسلوب فلا بُد أن نعرف الوسيلة ، فنقول :

الوسيلةُ *: هي الأداةُ الموصلةُ إلى غاية .*

والوسيلةُ الدعويةُ *: هي الأداة المنضبطة شرعاً ، الموصلة إلى غاية منضبطة .*

وهي التي تستخدم لنقل الأفكار من الـداعي إلى المـدعو .

أما أسلوبُ الدعوةِ *: فهو الطريقة المقنعة المؤثرة في المدعو بما يتناسب مع حاله .*

وبذلك تعتبر الوسيلة أداة ناقلة للأسلوب من خلالِها [1].

ثانياً : تعريف المدحُ

معنى المدحِ في اللغة :

المدحُ : نقيضُ الهجاءِ ، وهو : حسن الثناء .

وقيل : الوصف الجميل . وعدُّ المآثر [2] .

وقيل : هو وصف المحاسن بكلامٍ جميل [3] .

والمدَّاحون : هم الذين اتخـذوا مـدح النـاس عـادةً وجعلـوه

---

[1] (?) انظر في تعريفات الوسـيلة الدعوية و الأسـلوب الـدعوي : دعـوة النبي للأعراب ، د . حمود بن جابر الحارثي ، ص 137 ـ 142 ، 215 ـ 217 .

[2] (?) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، 2/589 ـ 590 . و تاج العروس ، الزبيدي ، 7/111 .

[3] (?) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، 5/308 .

بضاعةً يستأكلون به الممدوح ويفتنونه [1] .

المـدح في الاصـطلاح : الثنـاء باللسـان على الصـفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية [2] .

ثالثاً : تعريف الضابط

الضابط لغة : لزوم الشيء وعدم مفارقته ، وفيه معنى الحبس ، كما يطلق أيضاً على القوة والشدة ، فيقال : رجل ضابط ، أي: قوي شديد حازم[3].

الضابط اصطلاحاً : أمر كلي ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه[4].

وهذا التعريف للضابط لا يختص بعلم معين بل هو عام في كل علم يمكن أن تصاغ فيه ضوابط ، ويتبين هذا بمقارنته بالتعريف الفقهي للضابط . كما أن من العلماء من يجعل الضابط مرادفاً للقاعدة . [5]

---

1 (?) عـون المعبـود شـرح سـنن أبي داود ، شـمس الحق العظيم آبادي ، 13/159 .

2 (?) التوقيف على مهمات التعاريف ، المنـاوي ، ص 645 . و انظر : التعريفات ، الجرجاني ، ص 265 .

3 (?) لسان العرب ، والمعجم الوسيط ، كلاهما مادة (ضَبَطَ) .

4 (?) غمز عيون البصائر ، للحموي _ ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ _ (2/5) .

5 (?) انظر : قواعد و ضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، عابد الثبيتي ، ص 248 ، 249 .

المبحث الثاني : أنواعُ المدح وضوابطه

أولاً : أنواع المدح :

النـوع الأول : المـدح المبـاح : وهو ما تـوفرت فيه ضـوابط المـدح ، فقد ثبتَ في السـنة أن النـبي مُـدِح في الشـعر والخطابة والمخاطبة ولم يمنع المـادح ، كمـدحِ عبد الله بن رواحة [1] له قائلاً :

إني تفرست فيك الخـير أعرفه — والله يعلم أن ما خـانني البصر

أنت النـبي ومن يحـرم شـفاعته

[1] (?) عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، شاعر من شعراء الرسول ، كان أحد النقباء ، وشهد بدراً وما بعدها ، نـذر شـعره في مـدح الرسـول والحث على الجهـاد ، وهو ثـالث أمـراء جيش مؤتة الذين استشهدوا فيها ، وشعره شـديد التـأثير على النفـوس دليل صـدق قائله . (انظر : أسد الغابة ، ابن الأثير ، 3/235 ـ و الإصابة ، ابن حجر ، 2/298) .

يوم الحساب فقد أزرى القدر

فثبتَ اللهُ ما آتاك من حسن تثـبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فقال له النبي : وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة [1] .

ومدحه كعب بن زهير [2] في قصيدته المشهورة عنـدما جاء تائباً مسلماً :

إن الرسول لنور يُستضاء به مهنـدٌ من سيوف الله مسلول

في فتيةٍ من قريشٍ قـال قـائلهم ببطنِ مكةَ لما أسلموا زولوا [3] .

نتيجة المدح المباح :

إذا تحققت ضوابط المدح ، فإن الممـدوح لا يـزداد بها إلا كمـالاً ، إما بالنشـاط في فعل الخـير والازديـاد منه ، أو بالـدوام عليه . خاصة إذا كـان المـادح من ذوي المكانة

---

1 (?) عبدالله بن رواحة حياته ودراسة شعره ، د / محمد بن سعد الشويعر ، ص 23 .

2 (?) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، شاعر مشهور ، أهدر دمه الرسـول بسـبب قصـيدة نـال فيها منه ومن أبي بكر فكتب له أخوه بجيراً يـدعوه للمسـارعة بالتوبة والإسـلام ، فجـاء متنكـراً وأسـلم على يد الرسول بعد أن طلب الأمان فأمنه ، وقال قصيدته المشـهورة في مدح الرسول ، فأهداه الرسول بُـردة له . (انظر : أسد الغابة ، ابن الأثير ، 4/475 . والإصابة ، ابن حجر ، 3/279) .

3 (?) زولـوا : هـاجروا من مكة إلى المدينة . (انظر : البداية والنهاية ابن كثير 4/371 ـ شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح رسول الله ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق د/ محمود أبو ناجي ، ص 290 .

والحكمة الذين يقدِّرون الأمور بقـدرها ويحرصـون على درء المفاسد وجلب المصالح .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسـنده عن سـالم [1] عن عبد الله بن عمر ـــ رضي الله عنهما ـــ قــال : " كنت غلاماً شاباً ، وكنت أنام في المسجد على عهد الرسول ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخـذاني فـذهبا بي إلى النـار ، فـــإذا هي مطوية كطي البـــئر ، وإذا لها قرنـــان ، وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار . قـال : فلقينا ملك آخر فقـــال لي : لم تـــرع . فقصصـــتها على حفصة فقصـــتها على رســـول اللـــه فقـــال : نعم الرجل عبدالله لو كـان يصـــلي من الليل . فكـان بعد لا ينـام من الليل إلا قليلاً " [2] .

هـذا مـدح من معلّم النـاس الخـير كـانت ثمرته عظيمة للممدوح حيث أخذ على نفسه عهـداً بقيـامِ الليل حـتى أنه كان لا ينام منه إلا قليلاً .

دعاءُ الممدوحِ :

حتى يأمن الممدوح من مداخل الشيطان والفتنة والريـــاء فإنه يدعو بهـذا الـدعاء " اللهم اغفر لي ما لا يعلمـون . ولا

---

1 (?) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، إمام زاهد حافظ ، يروي عن أبيه وعن أم المؤمنين عائشة وبعض الصحابة ، أحد الفقهاء السبعة ، مـات سـنة 106 هـ . (انظر : سـير أعلام النبلاء ، الـذهبي ، 4/457 . و تقريب التهذيب ، ابن حجر ، ص 226) .

2 (?) صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، باب فضل قيام الليل ، 2/42 .

تؤاخذني بما يقولون . واجعلني خيراً مما يظنون " [1] .

وعليه أن يتحرز من آفة العجب أو الفتـور ، ويظهر كراهة المدح ويراقب نفسه .

النوع الثاني : المدحُ المذمومُ :

وهو ما انعدمت فيه ضـوابط المـدح المبـاح . فانعـدم فيه الصدق ، أوصـاحبه النفـاق ، أو اتُخِـذَ مهنـةً للتكسب ، وزادَ الممدوحَ بطراً وتكبراً وظلماً ورئاءً .

وهـذا النـوع هو الـذي عنـاه الرسـول فيما رواه الإمـام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي معمر [2] قال : " قـام رجـلٌ يثـني على أمـيرٍ من الأمـراء ، فجعل المقـداد [3] يحـثي عليه الـتراب . وقـال : أمرنا رسـول الله أن نحـثي في وجوه المداحين التراب " [4] .

---

[1] فتح البـاري بشـرح صـحيح البخـاري ، ابن حجر ، 10/478 ، نقلاً عن البيهقي في الشعب . منسوبة إلى أبي بكر الصديق .

[2] عبدالله بن سخبرة الأزدي الكوفي ، أبو معمر ، حدَّث عن عمر ، وعلي ، وابن مسـعود ، والمقـداد ، وغـيرهم . ثقة . مـات في إمـارة عبيدالله بن زياد في خلافة يزيد . (انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 4/133 . و تقريب التهذيب ، ابن حجر ، ص 305) .

[3] المقداد بن عمرو الكندي ، من السابقين للإسلام ، وممن أظهر إسـلامه ، فـارس مغـوار ، تـزوج بنت الزبـير ابن عبـدالمطلب ، وهـاجر الهجرتين ، وشهد بدراً وما بعدها . مات سنة 33 هـ . (انظر : الإصابة ، ابن حجر 3/434) .

[4] صـحيح مسـلم ، كتـاب الزهد ، باب النهي عن المدح إذا كـان فيه إفراط ، 8/228 .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : (حمل المقداد هذا الحديث على ظاهره ووافقه طائفة . وقال آخرون : معناه خيبوهم فلا تعطوهم شيئاً لمدحهم ـ كأنهم من الذين يتكسبون به ـ وقال آخرون : قولوا له بفيك التراب) [1] .

وقال الطيبي ـ رحمه الله ـ : (يحتمل أن يراد به دفعه وقطع لسانه عن عرضه بما يرضيه من تراب الدنيا استهانة به) [2] .

وقال العلماء في الجمع بين أحاديث الإباحة والنهي : إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين ، ومعرفة تامة بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك فليس بحرام . وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور كُرِه مدحه في وجهه كراهة شديدة [3] . هذا في حق الممدوح .

أما المادح فيتحمل وزر قوله إن كان كاذباً ، أو متكسباً . ويؤجر إن كان من أهل الحكمة والعلم وإرادة الخير بالناس .

آفاتُ المدحِ المذمومِ :

قال الغزالي ـ رحمه الله ـ : في المدح المذموم ست آفات [4] ، أربع على المادح وهي :

---

1 (?) شرح النووي على صحيح مسلم ، 18/128 .

2 (?) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، 10/478 .

3 (?) انظر : رياض الصالحين ، النووي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ص 565 .

4 (?) انظر : إحياء علوم الدين ، أبي حامد الغزالي 3/159 ـ 160 .

1 ـ قد يفرط فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كاذباً .
2 ـ وقد يُظهر له من الحب ما لا يعتقده فيكون منافقاً .
3 ـ وقد يقول له ما لا يتحققه ولا سبيل إلى الإطلاع عليه فيكون مجازفاً .
4 ـ وقد يُفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق فيكون مناصراً لظالم .

وآفتان على الممدوح : ـ
1 ـ قد يُحدث فيه كبراً وإعجاباً وهما مهلكان .
2 ـ قد يفرح فيفسد عمله ، أو يفتر .

ثانياً : ضوابط المدح :

بما أن الرسول أهلٌ للمدح ، وكل ممدوح من البشر سواه ناقص ، إلا أننا نجده أرشد إلى ما يجوز من المدح ، وسد وسائل الإطراء والغلو التي تؤدي إلى الشرك في مدحه أو مدح غيره ، أو تؤدي إلى فتنة الممدوح .

ومن خلال استقراء بعض نصوص السنة في المدح نستنبط ضوابط المباح حتى يكون مباحاً وهي : ـ

1 ـ موافقة القول للحقيقة :

وهو أن يكونَ الممدوح أهلاً لما يُقال فيه ، ولا يتجاوز المادح الصفاتِ الحقيقيةَ الصادقةَ في الممدوح . قال ابن حجر : (أما الثناء بما يُعلم حقيقة فهو جائز ومستثنى من التمادح المكروه) [1] .

2 ـ التوسط في المدح وعدم المبالغة ومجاوزة الحد .

فالرسول اصطفاه ربه بالرسالة ، وهو أفضل خلقه ، وكل مدح يُقال فيه صدق ـ إذا لم يتجاوز التأدب مع الله ـ

---

[1] (?) انظر : فتح الباري ، ابن حجر ، 10/478 .

ومـدح الرسـول ﷺ لا يتعـدى كونه بشـراً رسـولاً ، تشـرف بالعبودية لله وبَلَّغ ما كُلِّـفَ به بلاغـاً كافيـاً . فمنع المبالغة في إطرائه ورفعه أعلى من بشريته .

روى الإمام البخاري ـ رحمـه اللـه ــ بسـنده عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : " سمعت النبي ﷺ يقـول : لا تطـروني كما أطرت النصـارى ابن مـريم .فإنما أنا عبـده ، فقولـوا : عبد الله ورسوله " [1] .

وروى أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن مُطـرّف [2] قـال : " قال أبي : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : السيد الله تبارك وتعالى . قلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طوْلاً [3] ، فقال : قولوا بقـولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرينَّكم الشيطان " [4] .

هـؤلاء أعـراب كـانوا حـديثي عهد بالإسـلام ، وكـره لهم المبالغة في مدحه ، فقـال لهم : تكلمـوا بما يحضـركم من القـول ولا تتكلفـوه ، فيسـتعملكم الشـيطان فيما يريد من التعظيم للمخلوق بمقدار لا يجوز [5] .

3 ـ الأمن من فتنة الممدوح .

وذلك أن المدح قد يُحدث للممدوح فتنة فيقع في معصية كالكبر والاستعلاء والفتور عن العمل الصالح.

---

1 (?) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، بـاب واذكر في الكتاب مـريم إذ انتبذت من أهلها ، 4/142 .

2 (?) مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير العامري ، عابدٌ فاضل ثقة ، يُكنى بـأبي عبدالله . حـدَّثَ عن أبيه الصـحابي وعن جمع من الصـحابة . مات سـنة 95 هــ . (انظر : سـير أعلام النبلاء ، الـذهبي ، 4/187 .و تقريب التهذيب ابن حجر ، ص 534) .

3 (?) طوْلاً : فضلاً وعلواً على الأعداء ، (انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير 3/145 مرجع سابق) .

4 (?) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، بـاب كراهة التمـادح ، 4/255 ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 3/912 .

5 (?) انظر : عون المعبود ، شمس الحق العظيم آبادي ، 13/161 ـ 162 .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي بكرة [1] " أن رجلاً ذُكر عند النبي فـأثنى عليه رجـلٌ خـيراً ، فقـال النـبي : ويحك قطعت عُنُق [2] صـاحبك ، يقوله مراراً ، إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل : احسب كـذا وكـذا إن كـان يـرى أنه كـذلك وحسـيبه الله ولا يـزكي على الله أحداً " [3] .

فـالنهي في الحـديث محمـولٌ على المجازفة في المـدح والزيادة في الوصف أو من يُخاف عليه فتنة من إعجـابٍ أو كـبر . أما من لا يُخـاف عليه ذلك لكمـال إيمانه وعقله فلا نهي في مدحه إذا لم يكن فيه مجازفة [4] .

4 ـ تقييد المدح بقول : أحسـبه كـذلك ولا أُزكي على الله أحداً ٠

تأدبـاً مع الله في رد علم السـرائر إليه فهو أعلم بمن اتقى ، والأحكام تجرى بالظاهر والله يتولى السـرائر ، فـإن هذا اللفظ يعتبر مقيداً لما صـدر من ألفـاظ المـدح بشـرط أن تكون قد تحققت فيه الضوابط الثلاثة الأولى .

---

1 (?) نفيع بن الحرث الثقفي . لُقِّب بأبي بكرة ، لأنه تدلى في بكرة من سور الطائف في حصارها وأتى مُسلماً . كان من فضلاء الصحابة ، سكن البصرة وأنجب أولاداً لهم شهرة ، روى عن النبي . مات بالبصرة سنة 51 أو 52 هـ . (انظر : الإصابة ، ابن حجر ، 3/542) .

2 (?) قطعت عُنُق صاحبك : استعير قطع العنق لهلاك الممدوح في دينه . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم 18/127) .

3 (?) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من التمادح 7/87 .

4 (?) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ، 18/126 .

المبحث الثالث : نماذج من مدح النبي للمدعوين ونتيجته الدعوية :

إنّ المدح أسلوبٌ من أساليب الدعوة المؤثرة . وهو أشد تأثيراً فيمن اشتهروا وعُرفوا بحب الشهرة والمفاخرة وعـدِّ المآثر من أمثـال ذوي المكانة و الوجاهة و الملأ من النـاس .

ونجد في سيرة الرسول شواهد مدح لهم ، إما لمسـلمٍ يحثه على فعل الخـــير والازديـــاد منه إذا أُمِنت فتنته ، أو لكافرٍ يتصف بصفة حميـدة يُرغبه في الإسـلام . ومن أمثلة ذلك .

1 ـ مدح فرد من المسلمين : *روى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ عن أنس " أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام وكان يهدي للنبي من البادية ، فيُجهزه رسول الله إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي : إن زاهراً باديتُنا ، ونحن حاضرته ، وكان النبي يحبه ، وكان دميماً ، فأتى النبيُ يوماً وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه لا يُبصره . فقال : أرسلني مَن هذا ؟ والتفت فعرف النبي فجعل يلصق ظهره بصدر النبي ، فجعل النبي يقول : من يشتري مني هذا العبد ؟ فيقول هو : إذاً تجدني كاسداً . فقال له النبي : لكنك عند الله لست بكاسد " "[1] .*

---

[1] (?) مسند الإمام أحمد ، 3 /ـ 161 . و قال الهيثمي في مجمع

***2 ـ مدح القبائل من مسلمي الأعراب** : روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة " عن النبي قال : أسلم سالمها الله . وغفار غفر الله لها "* [1] .

وروى أيضاً عن أبي بكرة قال : " قال النــبي : أرأيتم إن كـان جهينة [2] ومزينة [3] وأسـلم وغفـار خـيراً من بني تميم وبني أسد ومن بني عبدالله بن غطفان ومن بــني عامر بن صعصعة ؟ فقال رجل : خـابوا وخســروا . فقـال : هم خيرٌ من بـني تميم ومن بـني أسد ومن بـني عبدالله بن غطفان ومن بني عامر ابن صعصعة " . وفي رواية " والذي نفسي بيده إنهم لخيرٌ منهم " [4] .

هـذه القبائل الممدوحة من الأعـراب الـذين كـانوا حــول المدينة ، وكانوا من أسبق القبائل للإســلام ، فحصــلوا على هذه المكانة والشرف بسبب ذلك [5] . فمدحهم الرســول

الزوائد : و رجال أحمد رجال الصحيح ، 9 / 616 .

1 (?) صـحيح البخـاري ، كتـاب المنـاقب ، بـاب ذكر أسلم وغفـار 4/157 ، 158 .

2 (?) جهينة : قبيلة عظيمة من القحطانية ، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن ســود بن أســلم بن الحـافي بن قضـاعة ، وفيها بطـون كثـيرة ، كـانت مسـاكنهم ينبع ويـثرب . (انظر : معجم قبائل العـرب ، كحالة ، 1/216).

3 (?) مزينة : قبيلة كبيرة ، وهي بطن من مضر ، من العدنانية ، ديارهم بين المدينة ووادي القرى ، قدم وفدهم على الرسـول أربعمائة وأسلموا وشهدوا فتح مكة . (انظر : المرجع السابق ، 3/1083) .

4 (?) صـحيح البخـاري ، كتـاب المنـاقب ، بـاب ذكر أسلم وغفـار 4/157 ، 158 .

5 (?) انظر : فتح الباري ، ابن حجر ، 6/543 ، 545 .

مدحاً صادقاً هم أهلٌ له لأنهم من السباقين للإسلام .

وروى مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة قال : " لا أزال أحب بـــــني تميم من ثلاث ســـــمعتهن من رسول الله ، سمعته يقول : هم أشد أمتي على الدجال . قال : وجاءت صدقاتهم فقال النبي : هذه صـدقات قومنا . قال : وكـانت سـبيّةٌ منهم عند عائشة ــ رضي الله عنها ــ فقال رسول الله : أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل " [1] .

مدح أسلم وغفـار ومزينة وجهينة لأسـبقيتها للإسـلام ، بل صرّح بأفضليتهم على تميم وهوازن وغطفان .

ثمَّ مدح تميماً بالخلال التي يتصفون بها في ذلك الوقت . أو بالمواقف الـتي ستحصل منهم في المسـتقبل ، والنسب الذي ينتسبون إليه .

وعندما يصدر هذا المـدح الصـادق من قائد الأمة فإنه مما يزيدهم ثباتـاً على الإسـلام وحبـاً لرسـوله وانضـواءً تحت لوائه ، و قد تحقق ذلك .

3 ـ مدح من يستحق المدح من الكفار :

إنَّ مما نــزل على الرســول قــول الله تعـالى : { وَلاَ تَقْرَبُـواْ مَـالَ الْيَتِيمِ إِلاّ بِـالّتِي هِيَ أَحْسَـنُ حَتّى يَبْلُـغَ أَشُـدّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلّـفُ نَفْسـاً إِلاّ وُسْـعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُـواْ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ } [2] .

وهو أول من يتمثل القـرآن ، وكـان خلقه القـرآن ، وإذا

---

[1] (?) صـحيح مسـلم ، كتـاب فضـائل الصـحابة ، بـاب فضل غفـار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة ، 7/178 .

[2] (?) سورة الأنعام ، الآية 152 .

لم يكن العدل عند النبي من البشر فعند مَنْ يكون ؟ !
وهذا العدلُ الذي تميّز به يُعَدُّ أسلوباً مؤثراً من أساليب الـدعوة . فعنـدما يُـذكر المـرء أو القـوم بصـفاتهم الحسـنة وخلالهم الجميلة ، حتى وإن كانوا كفّاراً . فإنه مما يـدعوهم لحب المادح وقبول المبادئ التي يدعو إليها .
وأقل ما في الأمر يلزمون الحياد ويمتنعون من الإيذاء .
وهذا مثـال عـدل في مـدح قبيلة من الأعـراب وهي على الكفر قبل الإســـلام . قبيلة شـــيبان بن ثعلبة . التقى بهم الرســـول وهو يعـــرض نفسه على القبائل ، وكـــانت من أحسن القبائل رداً على الرســــــــول ، بل عرضت عليه المنعة مما يلي أرض العـــرب . ورأى فيهم حُسن الـــرأي والوفاء بعهدهم مع الفرس . فقـال لهم : " ما أسـأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق ، وأخذ منهم وعـداً ليسـلموا إن أظهر الله دين الإسلام . ثمَّ قال : يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها ، بها يـدفع الله بـأس بعضـهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم " [1] . و كان من نتـائج ذلك أنهم وفوا بوعدهم و دخلوا في الإسـلام بعد ظهـوره و لم يتـأذى المسلمون منهم بـأي أذى ، بل كـان منهم قـادة و مشـاهير

---

[1] (?) دلائل النبوة ، البيهقي ، 2/422 ـ 427 ، ووردت القصة بألفاظ متقاربة في : الروض الأنف ، السهيلي 4/60 ـ 64 . و عيـون الأثر ، ابن سيد الناس ، 1/258 ـ 260 . و البداية والنهاية ، ابن كثير ، 3/139 ـ 143 . و سبل الهدى والرشاد ، الصالحي ، 2/453 .

شاركوا في الفتوحات الإسلامية .

الخاتمة و أهم النتائج :

و في خاتمة هـــذا البحث فـــإني أحمد الله الحمد كله و أشكره الشكر كله ، و أثـني عليه الخـير كله الـذي و فقـني لكتابة هذه الأسطر بعد تجوال في كتب السـنة و السـيرة ، فأسـأله أن يجعلها خالصة لوجهه الكـريم و ينفع بها كاتبها و قارئها ، مع اعـترافي بالتقصـير وعـدم السـلامة من الخطأ الذي هو من طبيعة البشر ، فما كـان من خطأ فأسـأل الله العفو و الغفـران ، و ما كـان من صـواب فهو توفيق الله و إعانته .

و بما أنه لكل أمر ذي شأن نتيجة و توصية فإني قد توصلت إلى النتائج و التوصيات الآتية :

أما النتائج فهي :

1 ـ أن المـدح سـلاح ذو حـدين فقد ينتفع به الممـدوح إذا تـوفرت ضـوابطه و يزيـده همة و عطـاءً و دعـوة ، وقد يتضرر به الممـدوح فيدفعه إلى الكـبر و البطر و الريـاء إذا لم تتوفر ضوابطه .

2 ـ أن المدح ينقسم إلى قسمين محمود و مذموم .

3 ـ أن المدح لا يكون محموداً إلا إذا توفرت ضوابطه .

4 ـ أن للمـدح المـذموم آفـات خطـيرة يقع ضـررها على المادح و الممدوح .

5 ـ أن المدح أسـلوب دعـوي مـؤثر اسـتخدمه النـبي كما ورد في ثنايا هذا البحث .

أما التوصيات فهي :

1 ـ بما أنه من الاقتداء بالنبي اتباع منهجه في الدعوة إلى الله فإنه ينبغي على الــدعاة إلى الله اســتخدام أســلوب المــدح في الــدعوة إلى الله تعــالى بعد معرفة ضــوابطه الشرعية .

2 ـ أنه يجب على المســـلم والداعية إلى الله على وجه الخصوص أن يحذر ألفاظ المدح المذموم الـذي يتجـاوز حد الوسـطية ، ويمقته النـاس ، و تأبـاه النفـوس الأبية ، و أن يربأ بنفسه و بدعوته عن أمــاكن الــرِّيب ، و ألفــاظ السوء .

3 ـ أوصي الذين تعـودوا مـدح الكـبراء و الوجهـاء أن يتقـوا الله فيما يقولون و يتأملوا قول الله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ[1] ، و قوله تعالى :ﭽ   ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ[2] ، و قول النبي الوارد في الحديث : " أن رجلاً ذُكر عند النـبي فـأثنى عليه رجـلٌ خـيراً ، فقـال النـبي : ويحك قطعت عُنُق صاحبك ، يقوله مراراً ، إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل : احسب كذا وكـذا إن كـان يـرى أنه كـذلك وحسيبه الله ولا يزكي على الله أحـداً " [3] ، وقولـه فيمـا رواه المقداد أن رسـول اللـه قـال : " احْثُـوا فِي وُجُـوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ " [4] ، و ليحذر الشعراء من الإطراء الــذي يتعدى الوسطية ، و قد يقود الممدوح إلى البطر و الريـاء و

---

1 (?) سورة النساء ، الآية 9 .

2 (?) سورة الأحزاب ، الآية 70 .

3 (?) سبق تخريجه ص 13 .

4 (?) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، رقم 22707 .

الغرور وغير ذلك من الآفات المترتبة على المد المذموم .

و صلى الله و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم .

أهم المراجع :

1 ـ إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، دار اIالمعرفة ، بيروت ، بدون معلومات أخرى .

2 ـ الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأسـاليب الأدبية ، أحمد الشائب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 7 ، 1396 هـ .

3 ـ التعريفات ، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجـاني ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1405هـ .

4 ـ تهذيب اللغة ، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1 ، 2001م، .

5 ـ التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، بيروت ، ودار الفكر المعاصر , دمشق ، ط 1 ، 1410هـ

6 ـ الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل البخـاري الجعفي، تحقيق : د / مصطفى البغا ، دار ابن كثير , بيروت ، ط 3 ، 1407هـ

7 ـ الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد القحطاني .

8 ـ خصائص القرآن د / فهد الرومي ، بـدون ذكر الناشر ، ط4 ، 1409 هـ .

9 ـ دعوة النبي للأعراب ، د / حمود بن جابر الحارثي ، دار المسلم ، الرياض ، ط1 ، 1419 هـ .

10 ـ ريـاض الصـالحين ، النـووي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، بدون ذكر للناشر ولا التاريخ .

11 ـ سير أعلام النبلاء ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 7 ، 1410 هـ .

12 ـ شرح النووي على صحيح مسلم ، الإمام محيي الدين النووي ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط 11 ، 1426 هـ .

13 ـ شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح رسـول اللـه ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق د/ محمود أبو ناجي ، بـدون تاريخ وذكر الناشر .

14 ـ صحيح سنن أبي داود ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط 1 ، 1419 هـ .

15 ـ صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار النشر: دار إحياء الكتب العربية ، توزيع دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون ذكر رقم طبعة.

16 ـ عبدالله بن رواحة حياته ودراسة شعره د / محمد بن سعد الشويعر ص 23 دار الرفاعي الرياض ط1 1406 هـ .

17 ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط 2 ، 1995م .

18 ـ غمز عيون البصائر ، للحموي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1405هـ

19 ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون ذكر رقم طبعة و لا تاريخ

20 ـ فقه الدعوة إلى الله ، د / علي عبدالحليم محمود .

21 ـ القاموس المحيط ، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، بدون ذكر رقم طبعة و لا تاريخ .

22 ـ قواعد و ضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، عابد بن عبد الله الثبيتي ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط 1 ، 1428 هـ .

23 ـ لسان العرب ، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور

الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، بدون تاريخ .
24 ـ المدخل إلى علم الدعوة ، البيانوني .
25 ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحيقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 2 ، 1420هـ ، 1999م .
26 ـ معجم مقـاييس اللغة ، تـأليف: أبي الحسـين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السـلام محمد هـارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ،1420هـ .
27 ـ مناهج الدعوة وأسـاليبها ، د / علي جريشة ، ص 16 .

الموسوعات العلمية الألكترونية :

1 ـ موسوعة الحديث الشريف ، الكتب التسعة ، إصدار شركة حرف لتقنية المعلومات ، الإصدار الثاني .
2 ـ موسوعة المكتبة الشاملة .
3 ـ موسوعة المكتبة الإسلامية الكبرى ، إصدار مركز التراث للبرمجيات ، الإصدار الأول ، عمان ، الأردن .